ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Ass.Lect .Najm Abdei Turki

Wasit Education Directorate

Email: njmbdtrky@gmail.com

Keywords:

Image of women, Liberation , Tradition, Fadwa Tuqan , Nazik al-Mala'ika.

CC BY

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 15.Oct.2025

Accepted 21.Dec.2025

Published 25.Febr.2026

"The Image of Women in Modern Arabic Poetry: Between Liberation and Tradition: A Study of the Poetry of Fadwa Tuqan and Nazik al-Malaika"

A B S T R A C T

The poets Fadwa Tuqan and Nazik al-Mala'ika are considered two of the pioneering poets of the modern era. Their rise coincided with historical events in our region, which had repercussions on social life in general and on women in particular. Therefore, this study aims to analyze the image of women in modern Arabic poetry through the models of the Palestinian poet Fadwa Tuqan and the Iraqi poet Nazik al-Mala'ika, and to reveal the manifestations of liberation from tradition in portraying women as an active and creative agent. The study adopts an integrative analytical approach that combines textual and contextual treatment, analyzing poetic models in light of their social, psychological, and historical contexts. The study concludes that Tuqan and al-Mala'ika represented a qualitative shift in the portrayal of women by embodying the creative voice of women that reflects their personal and national concerns and contributes to the development of both poetic form and content.

© 2026 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol62.Iss2.4793

"صورة المرأة في الشعر العربي الحديث بين التحرر والتقليد: دراسة في شعر فدوى طوقان ونازك الملائكة"

م.م. نجم عبد تركي القريشي

مديرية تربية محافظة واسط / قسم الاشراف الاختصاصي

الملخص

تعد الشاعرتان فدوى طوقان ونازك الملائكة من الشاعرات الرائدات في العصر الحديث، حيث تزامن صعودهم مع أحداث تاريخية في منطقتنا، كان لها انعكاس على الحياة الاجتماعية بشكل عام وعلى المرأة بشكل خاص، لذا سيتم في هذه الدراسة إلى تحليل صورة المرأة في الشعر العربي الحديث من خلال نموذجي الشاعرتين الفلسطينية فدوى طوقان والعراقية نازك الملائكة، والكشف عن تجليات التحرر من التقليد في تصوير المرأة بوصفها ذاتاً فاعلة ومبدعة. تتبنى الدراسة المنهج التحليلي التكاملي الذي يجمع بين التناول النصي والسياقي، فتحلل النماذج الشعرية في ضوء سياقاتها الاجتماعية والنفسية والتاريخية.

تخلص الدراسة إلى أن طوقان والملائكة مثلتا نقلة نوعية في تصوير المرأة، من خلال تجسيد صوت المرأة الإبداعي الذي يجسد همومها الذاتية والوطنية، ويسهم في تطوير الشكل الشعري والمضمون معاً.

الكلمات المفتاحية: صورة المرأة ، التحرر، التقليد ، فدوى طوقان ، نازك الملائكة.

المقدمة:

يشكل موضوع صورة المرأة في الشعر العربي الحديث أحد المداخل الأساسية لفهم التحولات الجذرية التي شهدها المجتمع العربي في العصر الحديث، حيث تجسد هذه الصورة علاقة التفاعل بين الذات الإبداعية والواقع الاجتماعي. لقد انعكست أزمة المرأة العربية بين التحرر والتقليد بكل تعقيداتها على الإبداع الأدبي، وخاصة في مجال الشعر الذي ظل لقرون خلت حكراً على الأصوات الذكورية، فجاءت الكتابات الشعرية النسائية مناقضة للصورة النمطية السائدة عن المرأة في القصيدة العربية التقليدية (السياب ،١٩٧١، ص٦٥).

في هذا الإطار، تبرز تجربتا الشاعرتين الرائدتين فدوى طوقان (١٩١٧-٢٠٠٣) الفلسطينية ونازك الملائكة (١٩٢٣-٢٠٠٧) العراقية كأنموذجين بالغي الخصوبة للدراسة والتحليل. فكلتاهما استطاعتا أن تقدم رؤية جديدة لصورة المرأة، متحررة من الصورة التقليدية التي رسختها القصيدة الذكورية على مر العصور، سواء أكانت صورة المرأة الجسد أم المرأة الرمز، حيث قدمتا صورة المرأة الذات، المرأة المبدعة، المرأة المفكرة، المرأة المناضلة، المرأة التي تشارك في صنع التاريخ والمصير (روابنية،٢٠٠١، ص٣١٣).

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل الآليات التي اتبعتها هاتان الشاعرتان في تحرير صورة المرأة من أسر التقاليد الشعرية الذكورية، وبيان تجليات هذه الصورة الجديدة على مستوى المضمون والشكل معاً. وتنطلق من فرضية مفادها أن شعر طوقان والملائكة مثل نقلة نوعية في تصوير المرأة، من خلال تجسيد صوت المرأة الإبداعي الذي يعبر عن همومها الذاتية والوطنية معاً، ويسهم في تطوير الشكل الشعري العربي.

مشكلة البحث :

تتمحور الإشكالية البحثية حول الصورة الملتبسة والإشكالية للمرأة في الشعر العربي الحديث، التي تتأرجح بين قوى التحرر من النمطية التقليدية واستمرارية تلك التقاليد ذاتها. تتجلى هذه الإشكالية في السؤال المركزي التالي:

كيف تمت صورة المرأة في الشعر العربي الحديث، بين التحرر والتقليد، من خلال شعر فدوى طوقان ونازك الملائكة؟

وينبثق عن هذا السؤال الرئيسي عدة أسئلة فرعية:

١. ما ملامح الصورة التقليدية للمرأة التي تم الخروج عليها في شعر الشاعرتين؟
٢. ما مظاهر التحرر من هذا التقليد في شعرهما، وكيف صورتا المرأة بوصفها ذاتاً فاعلة ومبدعة؟
٣. كيف أثرت السياقات الاجتماعية والنفسية والتاريخية للشاعرتين في تشكيل هذه الصورة الجديدة للمرأة؟
٤. إلى أي درجة أسهمت تجربتهما الشعرية في تجسيد صوت المرأة الإبداعي المعبر عن همومها الذاتية والوطنية، والإسهام في تطوير الشكل والمضمون الشعري معاً؟

أهداف البحث:

تسعى الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف الرئيسية والفرعية:

الهدف الرئيس:

تحليل صورة المرأة في الشعر العربي الحديث والكشف عن جدلية التحرر والالتزام بالتقليد فيها، من خلال دراسة النماذج الشعرية لفدوى طوقان ونازك الملائكة.

الأهداف الفرعية:

١. تحديد الأطر التقليدية التي حكمت تصوير المرأة في الشعر العربي والتي سعت الشاعرتان إلى التحرر منها.
٢. تحليل النصوص الشعرية لطوقان والملائكة للكشف عن مظاهر الصورة الجديدة للمرأة بوصفها ذاتاً فاعلة وقوة مبدعة.
٣. بيان العلاقة بين بروز هذه الصورة المتحررة وسياقاتها الاجتماعية والنفسية والتاريخية.
٤. إيضاح دور الشاعرتين في تجسيد صوت المرأة الإبداعي المعبر عن همومها المزدوجة: الهم الذاتي والهم الوطني العام.
٥. تسليط الضوء على إسهامهما في تطوير الشعر العربي الحديث، سواء على مستوى المضمون (الموضوعات والهموم) أو الشكل (البناء الشعري واللغة).

الإطار النظري

صورة المرأة في الشعر العربي الحديث

كانت صورة المرأة تحتلُّ حيّزاً بارزاً في الشعر القديم، حيث أولاها الشاعر عناية فائقة تجلَّت في تركيزه على تصوير جسدها بكامل تفاصيله الأنثوية، انطلاقاً من شغفه بها وتعلُّقه الوجداني.

ويمكن القول "إنَّ هذا الاهتمام بلغ حدَّ المبالغة أحياناً، إذ استأثرت صورة المرأة بمساحات واسعة من القصيدة العربية قديماً، سواء في الغزل أو الوصف الجسدي"(محمد ،٢٠٢٠، ص٨٨).

وفي هذا السياق، تشكّلت صورة المرأة في القصيدة الجاهلية انطلاقاً من "ما تتميَّز به من انفلات وتعدُّد"، فهي "جغرافية متنوِّعة للمتعة" والتأمُّل، تستدعي "تجربة عشقيَّة بالغة العمق" (الخيون،٢٠٢٣، ص٧).

أما في العصر الحديث، فقد شهدت صورة المرأة في الشعر العربي الحديث تحولات جوهرية عن صورتها في الشعر القديم، حيث بدأت تدخل بحلة جديدة مختلفة عن الصورة التقليدية التي ارتبطت بها لقرون طويلة. لقد جاءت هذه الصورة "لتفصح عن توقها إلى الحرية والتحرر وفق الأنموذج الغربي" لكن هذا التوق لم يكن خالياً من الإشكاليات والتعقيدات، حيث أدى احتكاك المرأة العربية بقيم المجتمع الغربي إلى تولد رغبة لديها في الشعور بالحرية ورفض كل القيود التي كان المجتمع العربي يفرضها عليها (سليم،٢٠١٥، ص٣٩).

في هذا السياق، يلاحظ أن صورة المرأة في حركة الحداثة الشعرية أصبحت غير واضحة الوضوح نفسه الذي كانت عليه في الكلاسيكية والرومانسية، فبينما كانت المرأة في السابق موضوعاً قائماً بذاته، أصبحت في القصيدة الحديثة "مستوى من مستويات القصيدة، متداخلة في موضوعات عدة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وهي رمز أو معلم من معالم الحياة، يستخدمه الشاعر في مواجهة معالم أخرى في بناء قصيدته بناء عضوياً درامياً متكاملاً ".(الهوارين،٢٠٠٨، ص٥٧).

ويمكن رصد عدة تجليات لصورة المرأة في الشعر العربي الحديث، من أبرزها:

أولاً: المرأة الجسد: حيث يرى عدد من النقاد أن الشعر العربي "قد أغرق نفسه، ولا يزال، في توصيف تفاصيل جسد المرأة ومحاور جمالها الظاهري، بشكل يثير شهوة الحواس أكثر مما يوقظ نداء الروح"(المانع،٢٠٠٠، ص٢٦)، وفي هذا السياق، يُعد نزار قباني من أبرز من اصطفّ في مواجهة النمطية التقليدية لصورة المرأة في القصيدة العربية، وذلك عبر مجموعته الثورية "قالت لي السمراء" التي شكلت زلزالاً في الأوساط الأدبية والاجتماعية على حدٍ سواء.

لقد مثلت هذه المجموعة منعطفاً جريئاً في تمثيل المرأة شعرياً، حيث تمردت قصائدها على النموذج السائد، لتصبح بياناً صريحاً يدافع عن حق المرأة في امتلاك صوتها وجسدها وفُسحة مشاعرها، في زمن كان الخطاب الشعري فيه حكراً على الرؤية الذكورية.

لم يكتفِ قباني بخلخلة الثوابت، بل نجح في قلب المعادلات الشعرية رأساً على عقب، مقدماً رؤيةً جديدة للمرأة لا كموضوع للإطراء أو التغني، بل كذاتٍ حية تنطق بمكنوناتها وتصارع لاستعادة وجودها في فضاء القصيدة والحياة. جديدة تتحرر فيها المرأة من صورة الضحية والمنقذ في آن معاً. وهذا ما يتجلى بوضوح في قوله:

"فَصَّلْتُ مِن جِلْدِ النِّسَاءِ عَبَاءَةْ وَبَنَيْتُ أَهْرَاماً مِنَ الحَلَمَاتْ"(الرسم بالكلمات،ص٥٢).

تتجسد جرأة نزار قباني في تعامله مع جسد المرأة كمدونة تعبيرية في هذا البيت الشعري، حيث يحوّل الحلمات إلى رموز بناء وأهرامات، والجلد إلى رداء مقدس، في مزاوجة بالغة الفرادة بين الحسي والمقدس تخلق لغة شعرية غير مسبوقة(عكاش،٢٠٠٥،ص١٢)، يُجسَّد الشاعر تملكًا ذكوريًا مطلقًا لجسد الأنثى، حيث يختزل وجود المرأة إلى مادة خام (جلد) وسلعة جنسية (حلمات) لخدمة إبداعه الذكوري وتشييد صروحه الشعرية (الأهرام)، مما يكشف عن خطاب يمحو إنسانية المرأة ويحولها إلى أدوات استعارية .

وتأتي هذه الرمزية في تجليات أكثر عمقاً عند بدر شاكر السياب، حيث تبرز صورة الجسد الأنثوي في مرحلته الشعرية الوسيطة والمتأخرة حاملةً في طياتها إيحاءات نفسية بالغة التعقيد. فلم تكن شهوة السياب الجسدية غاية في ذاتها، بل تحولت إلى أداة فنية للتعبير عن حالة الوجود الإنساني بكل ما يحمله من يأس وحرمان وانهزام، حيث أصبح الجسد الأنثوي مرآة تعكس أعمق الجروح النفسية وأكثر الأسئلة الوجودية إيلاماً. مما يجعل صورته للمرأة مختلفة جذرياً عن الغزل التقليدي المشبع بالأمل والإشباع:

تلك الجلود الشاحبات وذلك اللحم النثير

حتى الشفاه يمص من دمها الثرى –حتى النهود

تذوي وتقطر في ارتخاء من مراصفها المغير

واها لهاتيك النواهد والمآقي والشفاه

واها لأجساد الحسان أيأكل الليل الرهيب

والدود منها ما تمناه الهوى؟ واخيبتاه(حفار القبور، ص٩٨).

تُظهر الأبيات السابقة أن صورة المرأة الجسد في شعر السياب، خاصة في مرحلته الوسطى والأخيرة، لم تكن صورة تقليدية نابضة بالحياة، بل كانت مقرونة باليأس والحرمان.

ثانياً: المرأة الرمز: يتجلى في الشعر العربي تحوّل المرأة إلى أيقونة ترمز للوطن والحريّة والأرض والمبادئ السامية، وقد بلغ هذا الرمز ذروته في شعر محمود درويش، حيث تذوب الحدود بين الحبيبة والوطن في بوتقة وجودية واحدة. فالقصيدة

– في ظاهرها – تتوجّه بخطابها نحو المرأة، لكنها لا تلبث أن تكشف للناقد الثاقب عن طبقات دلالية أعمق، يتجلّى من خلالها حب الوطن كحقيقة جوهرية تنبض في قلب التجربة الشعرية.

إن هذا الامتزاج العضوي بين صورة المرأة والوطن يضفي على تجربة درويش الفنية نَفَساً عاطفياً متجدّداً، ويولّد لديه رؤية فنية حيّة تتحول معها القصيدة إلى "ومضة حلم" تذوب فيها العواطف، فيصبح الحبّ وطنياً، والوطن حبيباً. وفي هذا الفضاء الشعريّ، يصبح من العسير الفصل بين عاطفة الحبّ الموجهة إلى الأنثى، وتلك المكرّسة للأرض والهوية، وخير تعبير عن هذه الرؤية قول درويش:

وطنِي لَيْسَ حَقِيبَةً وَأَنَا لَسْتُ مُسَافِرًا

إِنَّنِي الَعاشِقُ والأَرضُ حبيبة.(يوميات الحزن العادي، ص٥٥).

ثالثاً: المرأة الذات: وهي الصورة التي تبلورت بشكل لافت في الشعر النسوي، حيث أصبحت المرأة كائناً مفكراً، صاحب ذات مستقلة، تعبر عن مشاعرها وأفكارها وهمومها الخاصة.

فعلى سبيل المثال، لم يقتصر كرم الضيافة على الرجل وحده، بل للمرأة نصيب كبير فيه، وزينب ابنة شيخ القبيلة هي خير مثال على ذلك.

حيث يقول شيخ القبيلة مفتخراً بكرمها:

كِنَا الْكِرَمُ عَلَى الْمَازِنِ وَلَمْ نُزِلْ وَالنَّاسُ تَضْرِبُ فِي الْبِلَادِ بِنَا الْمَثْلْ

لَكِنَّنَا وَالْحَقُّ حَقٌّ يَا أَخِي نَخْشَى عَلَى غِيدِ الْقَبِيلَةِ فَارْحَ. (طوقان،١٩٧٨، ص٨٩).

فكانت المرأة تعبيراً حقيقياً عن شخصيتها المستقلة التي من الطبيعي ستعبر عن البيئة والمحيط التي تعيش فيه .

أولاً – فدوى طوقان: صوت المرأة بين الذات والوطن

انطلقت من نابلس، من رحم عائلة الطوقان العريقة، لتكون واحدة من أبرز الأصوات الشعرية في فلسطين والوطن العربي– فدوى طوقان. حملت راية "شاعرة فلسطين" كما حمل شقيقها إبراهيم من قبل لقب "شاعر فلسطين"، وكان محمود درويش أكثر دقة حين رأى فيها "أم الشعر الفلسطيني"، لكون قصيدتها نابعة من صميم معاناة الأرض والإنسان، (طوقان،١٩٧٨، ص٣٢) .

حُرمت من إكمال تعليمها المدرسي في مجتمع محافظ، لكن إرادتها وموهبتها كانتا أقوى من القيود. اكتشف شقيقها إبراهيم شرارتها الشعرية، فأصبح مرشدها الأول. لم تقف عند حدوده، بل انطلقت في رحلة تعلم ذاتي متواصلة، أوصلتها إلى إتقان الإنجليزية ودراستها في إنجلترا.

في سيرتها الذاتية ("رحلة جبلية، رحلة صعبة" و"الرحلة الأصعب")، كشفت كيف حَوَّلَها "البيت" التقليدي إلى سجن. فجعلت من قصيدتها سلاحاً لهدم هذا البيت–السجن،(طوقان،١٩٨٧، ص١٢٠) الذي وصفته بقوة:

بَنَتْهُ يَدُ الظُلْمِ سِجْنًا رَهِيــبَا لِوَأْدِ البَرِيئَاتِ أَمْثَالِـــي

وَكُرِّتْ دُهُورٌ عَلَيْهِ وَمَــا زَالَ يَمْثُلُ كَاللَّغْـزِ البَاقِـــي

تحليل النصوص: تجليات التحرر بين الذاتي والوطني:

الجانب الوطني: قصيدة "حريتي" – من ديوان "الليل والفرسان"

تمثل هذه القصيدة أنموذجاً لشعر التحرر عند طوقان، حيث تتداخل فيها حرية المرأة مع حرية الوطن. تقول طوقان:

حريتي..

سأظل أرددها وأناضل

أحفر اسمها بصخر الصوان

بالرصاص، باللهب

ورغم أنف الرصاص ورغم أنف القيود

سأظل أناضلج. (طوقان،١٩٧٨، ص١١٤).

يتجلى في هذا المقطع الإصرار على النضال من أجل الحرية، حيث توظف طوقان حقلين دلاليين: حقل العدوان (الرصاص، اللهب، القيود) وحقل مواجهة العدوان (أردد، أناضل، أحفر). وتكرار فعل الإصرار "سأظل" يؤكد الاستمرارية والديمومة في النضال . كما توظف الشاعرة ضمير المتكلم الذي يعبر عن صوت المرأة المبدعة التي ترفض التهميش والإقصاء.

الجانب الذاتي :

وفي قصيدتها "أشواق حائرة" تبرز ثنائية واضحة في التجربة الأنثوية: جانب جنسي/عاطفي حيوي، وجانب وجودي تسامحي، يُقدَّم الجانب الأول عبر قلب عذراوي مفعم بنوازع الحياة وأحلام الالتقاء بالفتى المنشود، بينما يتجه الثاني نحو محاولة إذابة الذات في الكون.

قلبي تفور به الحياة وقد عمقت ومدت فيه كالأمد

فتهز أغواري نوازعه صخابة، دفاقة المدد

ويظل منتظرا على شغف ويظل مرتقبا على وفد

أحلام محروم تساوره متوحش في العيش منفرد

ويود لو تمضي الحياة به للحب، مصدر فيضها الأبدي (دار العودة،ص٣٢).

وفي قصيدة "إلى طروب" – من ديوان "تموز والشيء الآخر"

تعبر طوقان في هذه القصيدة عن معاناة المرأة الفلسطينية تحت الاحتلال، فتقول:

آهٍ يا غنوة حب عذبة، يا لحن مزهر،

اقرئيني في الغد الآتي وإذ تصبحين يا حلوة أكبر،

اقرئيني في الغد الآتي؛ فشعري

صورة من واقع جهم مكدر،(السوافيري،١٩٧٩،ص١٥).

وفي هذا المقام، تبرز فدوى طوقان بنسيج شعري فريد، تَمْزج فيه بين عذوبة الأنثى ومرارة الواقع، فتصوغ من هذا المزيج صورة المرأة الحاملة لهموم الوطن، المعبّرة عن آلامه.

صوتها الشعري هنا ليس مجرد صدى لذات فردية، بل هو صوت كائن جمعي، ينطق بمعاناة شعب بأكمله، (السوافيري، ١٩٧٩، ص١٥).

في ديوانها "وجدتها"، تعلن طوقان بصوت مدوٍّ عن أنوثتها المكتملة وحقها الطبيعي في الحب، ذلك الذي يمثل لها الحياة ذاتها، فبدونه يفقد الوجود قيمته ومعناه. وفي يوليو ١٩٦٠، كتبت قصيدتها "القصيدة الأخيرة" التي ضمنتها ديوان "أعطنا حباً"، مجسدةً فيها كيف كان الحب ملاذاً من الضياع والوحشة التي عانت منها.

في هذه القصيدة الوداعية، تودع فدوى الحبَ والحياة معاً، ذلك الحب الذي لم يتحقق كما حلمت، بل تحول إلى جراح وغصات وألم. وقد ختمت فدوى قصة حبها بتلك الأبيات المُفعمة بالأسى، نادبةً شبابها الضائع الذي لم تَجْنِ منه سوى الآلام. فالحب في النهاية أصبح صليباً حملته على كتفها طيلة عشرين عاماً، واستخدمته وسيلة للهروب من معاناتها القاسية.

ويجدر بالذكر أن فدوى، كشاعرة رومانسية أصيلة، فضّلت الانغماس في التأمل والحسرة والألم، دون أن تتساءل عن أسباب هذا العذاب أو دوافعه، مكتفيةً بالمعاناة كخيار وجودي وفني.

إلى جانب هذه التجارب الذاتية العميقة، تتسع دائرة شعر فدوى طوقان لتحتضن الهم الجماعي للمرأة الفلسطينية، فتنقل ببراعة فائقة بعض المآسي الاجتماعية التي خلّفتها فاجعة النكبة، وتسلط الضوء على الأعباء الثقيلة التي تثقل كاهل المرأة في ظل الظروف القاسية. وهكذا يتحول صوتها الشعري إلى عدسة فنية ترصد بوفاءٍ تحوّل المرأة الفلسطينية من ضحية إلى شاهد صامد على زمن الآلام.

وتأتي قصيدة "رقية" – التي تختتم ديوانها الأول "وحدي مع الأيام" – نموذجاً حياً لتجسيد هذه المأساة، حيث تصور ببراعة معاناة المرأة الأم التي اضطُرَت لتحمل عبء المسؤولية كاملاً في تربية بناتها في ظل غياب المعيل.

هنالك ضم (رقية) كهف رغيب عميق كجرح القدر

تدور به لفحات الصقيع فيوشك يصطك حتى الصخر

(رقية) يا قصة من مآسي الحمى سطرتها أكف الغير

تعلق شيء كفرح مهيض على صدرها الواهن المرتعد،(أحمد،١٩٨٦، ص١٧٨).

السمات الأسلوبية والفنية

اتسم شعر طوقان بعدة سمات أسلوبية وفنية، من أبرزها:

١- الانزياح اللغوي: حيث تستخدم طوقان الانزياح كوسيلة للتعبير عن معاني اليأس والتشاؤم، كما في قصيدة "خريف ومساء" التي تعكس التشاؤم المسيطر على الشاعرة نتيجة النكبات والمصائب التي حلت بها، سواء على المستوى الشخصي (فقدان أخيها) أو على المستوى السياسي (قضية فلسطين).

٢- توظيف الأساليب الإنشائية: وخاصة أسلوب الاستفهام، كما في قولها في قصيدة "خريف ومساء": "أترى يعود الربيع؟"، حيث يعبر هذا الاستفهام عن غموض المستقبل وعدم القدرة على تحقيق الآمال.

٣- التكرار: الذي يؤكد المعنى ويخلق إيقاعاً موسيقياً، كما في تكرار كلمة "حريتي" في القصيدة التي تحمل الاسم نفسه .

يظهر الجدول (١) مراحل التطور الشعري لدى فدوى طوقان.

جدول (١) يوضح تطور شعر فدوى طوقان:

الأعمال	الخصائص الفنية	المرحلة
وحدي مع الأيام، وجدتها	**هيمنة الشعر التقليدي، التعبير عن المشاعر الذاتية، معالجة قيود المجتمع على المرأة**	**المرحلة الرومانسية**
أعطنا حباً، أمام الباب المغلق	**تبني الشعر الحر، الجمع بين الهم الذاتي والهم الوطني**	**مرحلة التحول إلى الشعر الحر**
الليل والفرسان، تموز والشيء الآخر	**هيمنة موضوعات النضال والتحرر، توظيف الرمزية، المزج بين صوت المرأة وصوت الوطن**	**مرحلة شعر المقاومة**

تعكس أشعار فدوى طوقان توق المرأة إلى الحرية والحب، وكذلك ارتباطها العميق بالوطن، مما يجعل صوتها أنثوياً ووطنياً في آنٍ واحد.

ويعبر الجدول (٢) عن أهم الاقتباسات في شعر طوقان الذي يبرز ميلها إلى التحرر :

الجدول (٢): اقتباسات للشاعرة فدوى طوقان

المرأة الواعية بجاذبيتها :تقدم الشاعرة صورة المرأة التي تدرك تأثيرها وأناقتها، معبرة عن مشاعرها بثقة وافتخار، وهو خروج عن تقليد إخفاء المشاعر.	"قلتَ: في عينيكِ عمقٌ **أنتِ حلوة** ... وبأعماقيَ نشوة **أيّ نشوة**"!!	**من ديوان "وجدتها"**
المرأة-الأرض-الوطن :تذوب الفوارق بين جسد المرأة وأرض الوطن، فتصبح رمزاً للخصب والتضحية والخلود، مقدمة نموذجاً للمرأة التي تتحرر من ذاتها الضيقة لتتصهر في قضية جماعية.	"كفاني أموت على أرضها وأُدفن فيها... كفاني أظلُّ بحضن بلادي **تراباً، وعشباً، وزهرة**"	**من ديوان "الليل والفرسان"**
الحب كقوة وجودية :تصور العلاقة العاطفية على أنها قوة كونية توازي قوة الحياة نفسها، مما يعلي من شأن الحب ويعبر عن رغبة في علاقة متكافئة وجريئة.	"وكان هوانا جميلا كهذا **الوجود**، عنيفاً كعنف الحياة... نموت ولا يتلاشى صداه"	**من ديوان "الليل والفرسان"**

ثانياً - نازك الملائكة: بين التجديد الشعري والتحرر الذاتي

وُلدت الشاعرة الرائدة نازك صادق الملائكة في بغداد يوم الأربعاء الموافق الثالث والعشرين من آب/ أغسطس عام ١٩٢٣م، في محلة العاقولية الواقعة في جانب الرصافة. تنحدر نازك من أسرة أدبية رفيعة المستوى، حيث كان والدها الأستاذ صادق جعفر الكاظمي معلماً للغة العربية ومؤلفاً لموسوعة "دائرة معارف الناس" التي تضم عشرين مجلداً، إلى جانب كونه شاعراً. أما والدتها السيدة سليمة عبد الرزاق، فكانت أيضاً من الشاعرات اللواتي نشرن إنتاجهن في المجلات العراقية تحت اسم "أم نزار الملائكة."

أما لقب "الملائكة" الذي حمله أفراد الأسرة، فيعود إلى ما اشتهر به البيت من هدوء وسكينة، مما دفع بعض الجيران إلى إطلاق هذه التسمية عليهم، ثم ما لبثت أن انتشرت وشاعت وحملتها الأجيال المتعاقبة،(أفاية،١٩٨٨،ص٥٢).

البعد التحرري في شعر نازك الملائكة

ساهمت التجارب الحياتية المفعمة بالوجدانية والتأملات الوجودية العميقة في تشكيل الشخصية الشعرية لنازك الملائكة، فتشبعت ذاتها بإحساس جارف بالمعاناة والقلق الوجودي إزاء أسرار المصير والإنسان. وقد تأثرت الشاعرة بمشاهد البؤس والفقر التي كانت تشاهدها في محيطها، مما ولّد لديها رفضاً لواقع الظلم الاجتماعي والأمراض التي تفتك بالطبقات المسحوقة نتيجة الفقر وجشع الأغنياء واستغلالهم.

أسهمت هذه العوامل مجتمعة في ترسيخ مشاعر القلق والشك في أعماق نفسها، خاصة وهي تواجه عجزها عن إدراك كنه الوجود وحل ألغاز الكون. فانعكست هذه الحالة النفسية على شعرها، حيث ظهرت ضحية لأمواج الشك والقلق التي كانت تتقاذف كيانها وتعصف به. وقد تجلى تيهها في متاهات الفلسفة الوجودية واضحاً في قصيدتها "في وادي الحياة"، التي تعكس حيرتها إزاء أسرار الوجود، فكانت مرآة صادقة لتلك الروح التواقة إلى المعرفة، الغارقة في بحر من التساؤلات الوجودية التي لا تنتهي. فقالت

تائِهَةٌ، وَالحَياةُ بَحْرٌ شَاطِئُهُ مُبْعَدٌ سَحِيقٌ

مَاذَا وَرَاءَ الحَياةِ؟ مَاذَا؟ أَيُّ غُمُوضٍ وَأَيُّ سِرّ؟

وَفِيمَ جِئْنَا؟ وَكَيْفَ نَمْضِي؟ يَا زَوْرَقِي، بَلْ لِأَيِّ بَحْرٍ؟

يَا زَوْرَقِي، طَالَ بِي ذَهَوْلِي

وَأَغْرَقَ الوَهْمُ جَوَّ عُمْرِي(فرارة الموجة، ص٤١).

في القرن العشرين، الذي شهد اندلاع الثورات العربية في العراق ومصر وسوريا، إلى جانب الثورات العالمية الكبرى، برزت الشاعرة نازك الملائكة كرمز للثورة الشيوعية. ويتجلى حماس هذه الثورة وفكرها التحرري في قصيدتها "ثلاث أغنيات شيوعيّة"، حيث اتخذت رموز الشعر لديها بُعدًا تحريضياً يهيب بالوعي الجمعي، وتمرداً صريحاً على أشكال التعبير التقليدية. وقد أعادت نازك من خلال ذلك صياغة العلاقة بين الشاعر وواقعه، مستخدمةً بنية لغوية مشبعة بالإيحاءات، تقول في إحدى أبياتها:

تحيّةً شقائقَ النعمانْ

يا أختنا الحمراء

يا شفةً ساخنة الألوانْ

مترعةً دماءْ

أختاهُ أنتِ أشرف الورودْ

رمز الدّمِ المراقْ

يا لون ما تضمر من حقودْ

محرقة الأشواق(عبد الهادي،٢٠١٩،ص٣).

تحليل النصوص: الجمع بين الهم الإنساني والبحث الجمالي

أولاً: قصيدة "إلى الشعر"

في هذه القصيدة، تقدم الملائكة رؤيتها للشعر بوصفه قوة روحية خلاقة، فتقول :

صوت الشعر يملأ كياني

ويسري في عروقي دمًا

وينساب إلى أعماقي

فيغسلها بفيض من النور (الأعمال الشعرية الكاملة، ص٢٤٤).

هنا نرى كيف تتجاوز الملائكة الصورة التقليدية للمرأة، لتصبح ذاتاً مبدعة، متصلة بعالم الروح والجمال. فالشعر ليس مجرد كلمات، بل هو قوة حياتية تملأ كيانها، وتغسل أعماقها بالنور. هذه الصورة تعكس تحرر المرأة من الصورة النمطية، وانتقالها من موضوع للإبداع إلى ذات مبدعة.

ثانياً: قصيدة من "مرثية للإنسان"

تعبر الملائكة في هذه القصيدة عن رؤيتها للإنسان والوجود، فتقول :

أي غبن أن يذبل الكائن الحيّ ويذوي شبابه الفينان

ثم يمضي به محّبوه جثمانا جفته الآمال والألحان

وينيمونه على الشوك والصخر وتحت التراب والأحجار.(مرثية الإنسان، ص٧١).

تظهر في هذه الأبيات النزعة الإنسانية في شعر الملائكة، حيث تتجاوز الهموم الذاتية إلى الهموم الوجودية. فصورة المرأة هنا هي صورة المفكرة، الفيلسوفة، التي تتأمل مصير الإنسان في هذا العالم. وهذا يمثل تحرراً من الصورة ،(نازك الملائكة ،١٩٩٧، ٤٢١).

اتسم شعر الملائكة بعدة سمات أسلوبية وفنية، من أبرزها:

- الانزياح عن المألوف: حيث تتميز لغتها الشعرية بالتجديد والانزياح عن اللغة المعيارية، مستفيدة من خلفيتها الموسيقية في بناء إيقاعات جديدة.
- الطابع التأملي: حيث يغلب على شعرها الطابع الفكري والفلسفي، كما في قصيدتها "مرثية للإنسان" التي تتأمل فيها مصير الإنسان والوجود.
- الوحدة العضوية: حيث تسعى إلى بناء القصيدة بناء عضوياً متماسكاً، ينتظم فيه الشكل والمضمون في كل متكامل.

يعبر عن السمات الأسلوبية وفق الجدول (٣):

جدول (٣) يوضح السمات الأسلوبية لشعر نازك الملائكة

السمة الأسلوبية	التجلي في شعرها	الدلالة
الانزياح اللغوي	كسر القواعد النحوية واللغوية العامة	التحرر من القيود التقليدية والتعبير عن رؤية جديدة
التكرار	تكرار المفردات والتراكيب	خلق إيقاع موسيقي وتأكيد المعنى
الطابع التأملي	هيمنة الأسئلة الوجودية والفلسفية	تجاوز الهموم الذاتية إلى الهموم الإنسانية الكونية
الوحدة العضوية	انتظام القصيدة في بناء متكامل	الربط بين الشكل والمضمون في رؤية فنية متكاملة

يتسم شعر نازك الملائكة بالعمق الفلسفي والتساؤل الوجودي، حيث تتحرر المرأة من خلال الفكر والتأمل في قضايا الوجود والمصير.

يظهر الجدول (٤) أهم الاقتباسات التي تظهر البعد التحرري للمرأة :

الجدول (٤) : اقتباسات من شعر نازك الملائكة

الدلالة على صورة المرأة	الاقتباس	ر
المرأة المتصوفة :تقدم نموذجاً تحررياً فريداً يختلط فيه الحب الإلهي بالحب الأرضي، حيث تمتلك المرأة صوتاً روحانياً قوياً وتجربة وجدانية عميقة.	**"أنت أحمد... يا وردتي، يا حصاد عمري، يا كل ماضٍ، يا كلُ آتٍ"**	**من ديوان "يغير ألوانه البحر"**
التمسك بالاستقلال الفكري :تؤكد على حق المرأة في الاحتفاظ بعالمها الداخلي وأسرارها، معتبرة أن ذلك هو سر قوة الحب وحيويته، في دفاع عن الخصوصية والذات.	**"دعني في ألغازي العليا، في أسراري ...الحبّ يموت إذا لم تحجبه أسرار"**	**من ديوانها المجلد الثاني**
الذات المتمردة والمتسائلة :تطرح الشاعرة أسئلة وجودية عميقة عن الهوية، مقدمة صورة للمرأة ككائن مفكر، لا تقبل بالمسلمات، وتواجه العالم بفلقها المبدع وتمردها الصامت.	**"الليلُ يسألُ من أنا ...أنا سرُّهُ القلقُ العميقُ الأسودُ ...أنا صمتُهُ المتمرّدُ"**	**قصيدة "أنَا"**

دراسة مقارنة: أوجه التشابه والاختلاف:

أوجه التشابه:

يمكن رصد عدة أوجه تشابه بين تجربتي طوقان والملائكة، من أبرزها:

١- التحرر من الصورة النمطية: سعت كلتاهما إلى تحرير صورة المرأة من الصورة النمطية السائدة في القصيدة الذكورية، وتقديم صورة المرأة الذات المبدعة، المفكرة، صاحبة الرؤية المستقلة.

٢- التجديد الشكلي: تبنت كلتاهما الشعر الحر، وساهمتا في تطويره وتجديده، حيث تعدان من رواد هذا اللون الشعري في الأدب العربي.

٣- الجمع بين الذاتي والموضوعي: استطاعت كلتاهما المزج بين الهموم الذاتية والهموم الوطنية والإنسانية، فصوت المرأة في شعرهما ليس صوتاً منعزلاً، بل هو صوت يعبر عن قضايا المجتمع والأمة.

على الرغم من أوجه التشابه، توجد بينهما اختلافات، من أبرزها:

١- المصادر الثقافية: استقت الملائكة من ثقافات متنوعة (عربية وغربية) ومن معرفتها العميقة بالموسيقى، بينما استمدت طوقان تجربتها من معاناتها الشخصية في مجتمع محافظ، ومن معاناة شعبها تحت الاحتلال.

٢- المنحى الفكري: يتسم شعر الملائكة بطابع فكري وفلسفي واضح، بينما يتسم شعر طوقان بطابع اجتماعي ونضالي بارز.

٣- التجريب الشعري: كانت الملائكة أكثر جرأة في التجريب الشعري والنظري، كما يتجلى في كتابها "قضايا الشعر الحديث"، بينا اتسمت تجربة طوقان بالتدرج من الرومانسية إلى الواقعية فشعر المقاومة.

الاستنتاجات والتوصيات:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كشفها عن الآليات التي اتبعتها الشاعرة العربية في تحرير صورة المرأة من أسر التقاليد الشعرية الذكورية، وتقديم صورة جديدة للمرأة بوصفها ذاتاً مبدعة، مفكرة، ومناضلة. وقد أظهرت الدراسة أن تجربتي فدوى طوقان ونازك الملائكة مثلتا نقلة نوعية في الشعر العربي الحديث، ليس على مستوى الشكل فحسب، بل على مستوى المضمون والرؤية أيضاً.

لقد استطاعت طوقان والملائكة، كل من موقعها الخاص، أن تقدما نموذجاً لشعر المرأة المتحرر من القيود التقليدية، الذي يجمع بين الهم الذاتي والهم الوطني والإنساني. وقد تجلى هذا التحول على مستوى الصورة الشعرية، حيث انتقلت صورة المرأة من موضوع للإبداع إلى ذات مبدعة، ومن كائن سلبي إلى فاعل في التاريخ والمجتمع.

ختاماً، يمكن القول إن شعر طوقان والملائكة لم يحرر صورة المرأة فحسب، بل ساهم في تحرير الذوق الجمالي العربي من كثير من القيود والأغلال، مفتتحاً آفاقاً جديدة للإبداع والتعبير. وقد خلفت كلتاهما إرثاً أدبياً غنياً، لا يزال يشكل مصدر إلهام للأجيال اللاحقة من الشعراء والشاعرات.

المصادر والمراجع

١. بدر شاكر السياب، الأعمال الكاملة، دار العودة بيروت، لبنان.١٩٧١.

٢. حفيظة رواينية، صورة المرأة ودلالاتها في ثلاث مقطوعات شعرية جاهلية ، نشر في مارس١٩٩٠، التواصل : مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية تصدرها جامعة عنابة– الجزائر، دراسات في اللغة والأدب ،ع٨، تموز، ٢٠٠١.

٣. خالد، محمد(٢٠٢٠)، صورة المرأة في الشعر العربي الحديث .دار العلوم للنشر، القاهرة. ط١.

٤. رشيد الخيون ، أخبار النساء، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية،٢٠٢٣.

٥. رهيوي سليم ، صورة المرأة في ديوان الشاعر لمحمد جربوعة ، رسالة ماجستير في الآداب واللغة العربية ،كلية الآداب واللغات ،قسم الآداب واللغة العربية ، جامعة بسكرة، ٢٠١٥.

٦. صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، دار البحار، بيروت، لبنان، (دط)، ٢٠٠٨.

٧. عمار عكاش، صورة المرأة في الشعر العربي المعاصر، الحوار المتمدن، العدد:١١٣١ –٣/٢٠٠٥/ ٨ . http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=33170

٨. عبد الوهّاب البياتي،: مجلّة الآداب البيروتيّة، ١٩٩٩.

٩. عبد الله أحمد الغذامي، الخطيئة والتكفير: من البنيوية إلى التشريحية،١٩٨٥، النادي الأدبي الثقافي ، جدة ، الطبعة الأولى ،ص١٢٤–١٣٠.: نازك الملائكة ، ديوان نازك الملائكة (المجلد الأول) أو "شجرة القمر" دار العودة ،بيروت ، ١٩٦٨ .

١٠. فدوى طوقان : ديوان فدوى طوقان (الأعمال الكاملة) دار العودة بيروت، ١٩٧٨م (قصيدة من وراء الجدران) .

١١. فدوى طوقان : ديوان فدوى طوقان (الأعمال الكاملة) دار العودة بيروت، ١٩٧٨.

١٢. فدوى طوقان : المرجع نفسه.

١٣. فاضل باهض عودة الركابي، دراسة وتحليل المرجعيات الثقافية في شعر نازك الملائكة

قسم اللغة العربية وأدابها ،٢٠٢٤،– من منظار النقد الثقافي، كلية اللغات الاجنبية جامعة / اصفهان ايران

https://www.researchgate.net/journal/Journal-of-Jurisprudence-Faculty-1995-7971?_tp=eyJjb250ZXh0Ijp7ImZpcnN0UGFnZSI6InB1YmxpY2F0aW9uIiwicGFnZSI6InB1YmxpY2F0aW9uIiwicG9zaXRpb24iOiJwYWdlSGVhZGVyIn19

١٤. كامل السوافيري، الأدب العربي المعاصر في فلسطين، دار المعارف، ١٩٧٩، نقلا عن: عمر فروخ، شاعران معاصران.

١٥. محمد فتوح أحمد، :الرؤيا والإيقاع: دراسات في الشعر العربي الحديث، دار المعارف ، القاهرة ،١٩٨٦.

١٦. محمد نور الدين أفاية، الهوية والاختلاف في المرأة : الكتابة والهامش، إفريقيا الشرق، الدار .البيضاء،١٩٨٨.

https://www.neelwafurat.com/itempage.aspx?id=lbb380704-377650&search=books< محمد عبد الهادي، تجليات رمز المرأة في شعر محمود درويش،٢٠١٩.

١٧. محمد جربوعة، الشاعر، البدر، الساطع للطباعة والنشر، ط ١،٢٠١٤ .

١٨. ليال فردان النويس، صورة المرأة في القصيدة العربية عموما والعراقية خصوصا. النور : مركز إعلامي ثقافي فني مستقل،٢٠١٢.

١٩. نازك الملائكة (١٩٩٧) : الديوان، مج ٢ ،بيروت دار العودة .